منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

للأستاذ سعيد الديوه جي

— ٣ —

وأما رأى الشيخ عدى فى النزاع بين « على ومعاوية » فإنه يقول « كانا إمامين مجتهدين، ولكن المصيب منهما على رضى الله عنه، وأصحابهما أصحاب إمامين مجتهدين ، وقتالهم كان باجتهاد ولطلب الحق لا لحظوظ الدنيا ، ولم يكن أحد منهم حريصاً على قتل أخيه ، وقتلاهم جميعاً فى الجنة . ونكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وننشر محاسنهم رضى الله عنهم ، وإن الله قد غفر لهم » ، فترى أنه كان معتدلاً فى رأيه يرى أحقية « الإمام على » ؛ ولكنه مع هذا لا يبخس « معاوية » حقه .

وامتاز عصره بظهور عدة مشايخ كل « كالشيخ عبد القادر الكيلانى ، والشيخ قضيب البان الموصلى ، والشيخ أحمد الرفاعى ، والشيخ وهب السنجارى » وغيرهم كثير . وكان « الشيخ عدى » أحد هؤلاء الكمل . وأسس طريقته « العَدَوية » فدخل فيها الأكراد والموالون للحزب الأموى ومن هذا الوقت صار يطلق على أنصار الحزب الأموى اسم « الأكراد العَدَوية » فظهرت حركتهم بمظهر صوفى ، ولكن حبهم لبنى أمية لم يطرأ عليه تغيير سوى أنهم خففوا من بغضهم لآل البيت ، وكان ذلك بتأثير شيخهم « عدى » . وعُمِّر الشيخ عدى تسعين سنة . ونال من القبول عند أصحابه مالم ينله سواه . وتوفى سنة ٥٥٧ هـ ، ودفن فى زاويته التى بناها « بلانش » ، وقبره هناك معروف يزار .

وكان الشيخ قد استخلف ابن أخيه « صخر » قبل موته ، وكان هذا عالماً عاقلاً على جانب كبير من الدين والتقوى ، وصارت منزلته عند العدوية لا تقل عن منزلة عمه . سلك بأتباعه طريق الخير وأبعدهم عن المفاسد والشرور .

وخلفه بعد موته ابنه « أبو المفاخر عدى » ؛ وكان لا يقل عن أبيه فى العلم والورع وسلوك طريق الخير بأتباعه . وصار لهذه الأسرة منزلة عند العدوية دونها منزلة الملوك . ولكن الثلاثة الذين سلفوا لم يتدخلوا فى أمور الدنيا . انقطعوا إلى الله عز وجل فكان الله معهم .

الدور الثالث

الشيخ حسن وابتداء الغلو فى يزيد ومعاوية

وكثيرا ما تغر الدنيا بعض أصحاب المذاهب والطرق الدينية فينحرفون عن الجادة المستقيمة التى سار عليها آباؤهم وأجدادهم ، وذلك استئثاراً بطاعة الأتباع واستغلالهم لمصالحهم الدنيوية . وإن « الشيخ حسن » هو أحد الذين غرتهم الدنيا لأنه وجد ما عليه أسرته من المنزلة الرفيعة وطاعة الأكراد العدوية لهم وشدة بأس هؤلاء الأكراد ؛ وإن إشارة بسيطة منه تسوقهم إلى الموت وهم راغبون ، فسولت له نفسه أن يبدل دينه وأن يظهر فى الأرض الفساد . وهو بلا شك كان يريد أن يستغل الضعف السياسى الذى كان يشمل العالم الإسلامى فى القرن السابع الهجرى ليعيد تشكيل الدولة الأموية . وربما كان يقدر له هذا لو سار على الطريق المستقيم الذى رسمه « الشيخ عدى الكبير » .

انقطع « الشيخ حسن » عن أصحابه ست سنين ثم ظهر لهم وقد ألف « كتاب الجلوة لأرباب الخلوة » زاد أشياء باطلة فى اعتقادهم نظماً ونثراً ، وغالى فى تعظيم « يزيد وعدى » ووجد كلامه قبولاً حسناً عندهم لأنه كان من رجال العالم رأياً ودهاء ، وله فضل وأدب وشعر فى التصوف يستهوى به أصحابه . وبذلك انقلبت الطريقة « العـــدوية » إلى فرقة مغالية فى حب « يزيد وعدى » ، فتطورت من طريقة دينية إلى حزب تورى له صبغة دينية باطلة . فكم من دعوة صالحة انقلبت إلى غى وضلال ! وكم من مبدأ سام انعكس إلى جمعية هدامة ! هذا إذا تولى الأمر أصحاب الأهواء والمطامع .

انتقل الشيخ حسن إلى الموصل وسكنها . ولعله كان يريد بهذا أن يكون على اتصال تام بأرباب الحكم « الاتابكى » لينفث سمومه الفتاكة فيهم ويتحين الفرص المناسبة . وصار له مريدون وأتباع فى هـذه المدينة ، كما أنه نشر دعاته فى (هيت)

والكبيسات . وسنجار . وسامر تكريت . وسورية) ولاقت
قبولاً عند البعض لولا مناوأة ا العلوى لها . وسار الملوك
يخشون أمر هذه الدعوة . وخا بدر الدين لؤلؤ » صاحب
الموصل فإنه كان من أكبر المناو ـا لأنه يخشى على ملكه اقربه
منهم . وفى سنة ٦٤٤هـ قبض شيخ حسن وحبسه ثم خنقه
بوتر وبدد شمل أصحابه من الـ وفتك بهم فتكاً ذريعاً ،
ثم أخذ يختلق الحجج على د الشيخ عدى ، ويكلفهم
ما لا يطيقونه ، وزهقهم بالضـ ـ الفادحة . وفى سنة ٦٥٢هـ
جهز جيشاً كبيراً عليهم وأعمل يف فيهم ونبش قبر الشيخ
« عدى الكبير » وأحرق عظ فأضعف أمر هذه الفرقة .
ولا ننسى أن الملك « بدر الد ؤ » كان يميل إلى العلويين
كثيراً ، وأنه بنى الأضرحة تد المديدة فى الموصل لأبناء
« الإمام على » ولا تزال هذه كن شاهدة على ما نقول

هذا هو تطور هـذه الفئة حزب سياسى معاد لآل بيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إ ـيقة صوفية عدوية خالصة لله ،
إلى فرقة مغالية فى حب « يزيد ـى »

الدور الرابع

خروجهم عن الإسلام

وفى القرن الثامن الهجر ـدأ انحراف هذه الفرقة يزداد
عن الإسلام ، ودخل التجسيم عقائدهم . ولا سيما أن رؤساءهم
الدينيين حرموا القراءة والكتابة ـهم فأوقعوهم فى ظلمات الجهل ،
وسخروهم لمصالحهم ، وقادوهم ـيث أرادوا . ودخل عقائدهم
عقائد يهودية ومسيحية ووثـ وصابئية وخارجية . وكانوا
يسترون عقائدهم الزائغة عن الإ ـسلام بكتمانها وعدم إباحتها .
وصاروا بذلك فرقة باطنية خا ـجة عن الإسلام . ولا ندرى
متى تم هذا الانفصال ؛ ولـ ـكن بعض النصوص تصرح
بأن يزيدية « جبل مقلوب » بقـ ـا محافظين على إسلاميتهم حتى
القرن الحادى عشر الهجرى ؛ ـوهم على المذهب الشافعى كبقية
الأكراد ، ولا يشوب عقيدتهم ـلا بغض « آل البيت » والتطاول
عليهم . ولهذا فإننا نرجح أن انفصال اليزيدية عن الإسلام تم
فى العصور المتأخرة أى بعد القرن الحادى عشر الهجرى

عقائدهم

تكفيرهم بقية الأديان

يعتقدون أن الأمم الباقية من مسيحيين ويهود ومسلمين على ضلال . ويجب على « اليزيدية » أن يجتنبوهم لأن إلـهم «طاووس ملك» لا يحبهم كما يحب اليزيدية . وعليهم أن يكتموا أمر دينهم وكتبهم المقدسة عنهم ، كما يحذرهم من قراءة كتب هذه الملل لأنها مبدلة . جاء فى كتابهم « الجلوة » « لا تقبلوا كتب الأجانب من اليهود والنصارى والإسلام لأنهم غيروها ، ولـكن اقبلوا مايوافق سنتي » . وقال أيضاً : « جميع الكتب الموجودة بين الخارجين بدلوا فيها وزاغو عنها ولو كتبها الأنبياء والرسل المرسلون لأن كل واحد يبطل الآخر وينفى قوله ويضادده الحق والباطل معلوم عندى حتى وقوع البشر فى التجربة » وهو يوصى أتباعه بالتعاضد والتكاتف ومقاومة من يريد أن يتطاول على تعاليم « طاووس ملك » ، وعليهم أن يحتملوا المصائب والمحن بسبب هذا . وهو لا ينسى نصيبهم من المكافأة فى أحد العوالم . قال فى الجلوة : « الذين يحتملون المصائب والضيقات بسببى لا بد لى من مكافأتهم بأحد العوالم . جميع أتباعى أريد أن يتحدوا برباط واحد لئلا يضادوهم الأجانب . أيهـا الذين تبعتم وصاياى وتعاليمى أنكروا تعاليم الأجانب وأقوالهم لأنى لست أنا معلمها لهم وليست من عندى لا تذكروا اسمى ومكانى أمام الخوارج لئلا تندموا ؛ لأنكم لا تعلمون ما يفعل الأجانب » ونرى كـثيراً ما يوصيهم بالـكتمان والمحافظة على أسرار كـتبهم ودينهم لئلا يطلع الأجانب عليها ، ولهذا فأن اليزيدية لا يبيحون بحقيقة اعتقاداتهم لأحد ؛ وإن باحوا بشىء منها فلا شك أنهم يحرفونها امتثالاً لأمر « طاووس ملك » وقد جاء فى مصحف رش بأن طاووس ملك خلق لهم عدة ملوك قبل الأمويين ، وأن ديانتهم كانت قبل المسيح تسمى وثنية « وكل اليهود والنصارى والإسلام وغير ذلك من الطوائف حتى العجم أيضاً قاموا ضد ديانتنا ، ولـكن لن يقدروا علينا ولا علينا قط ، لأن إلـهنا يقوينا عليهم ويعلمنا العلم الأول والآخر »

(للكلام صلة) سعيد الديوه جي